المبحث العاشـر: تواضعه

يقال: تواضع: تذلل وتخاشع[1]، والمراد بالتواضع: إظهار التنزل لمن يراد تعظيمه، وقيل: تعظيم من فوقه لفضله[2].

والتواضع صفة عظيمة وخلق كريم؛ ولهذا مدح الله المتواضعين فقال: [illegible][3]، أي يمشون في سكينة ووقار متواضعين غير أشرين ولا متكبرين، ولا مرحين، فهم علماء، حلماء، وأصحاب وقار وعفة[4].

والمسلم إذا تواضع رفعه الله في الدنيا والآخرة؛ لقوله : «**ما نقصت صدقةٌ من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، ومن تواضع لله رفعه**»[5].

وهذا ما يفتح الله به للمسلم قلوب

---

1 () القاموس المحيط ص 997.
2 () فتح الباري 11/341.
3 () سورة الفرقان، الآية: 63.
4 () انظر: مدارج السالكين 2/327.
5 () مسلم 4/2001، برقم 2588 .

الناس؛ فإن الله يرفعه في الدنيا والآخرة، ويثبت له بتواضعه في قلوب الناس منزلة ويرفعه عندهم ويجلّ مكانه[1]، أما من تكبر على الناس فقد توعده الله بالذل والهوان في الدنيا والآخرة؛ لحديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله : «**العزّ إزاره، والكبرياءُ رداءه فمن ينازعني عذبته**»[2].

وقد كان النبي أعظم الناس تواضعاً، ومن تواضعه الأمثلة الآتية:

المثال الأول: قصة الناقة العضباء :

عن أنس قال: كانت ناقة لرسول الله تُسمّى العضباء وكانت لا تُسْبَقُ، فجاء أعرابي على قعود له فسبقها فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا سُبِقَتِ العضباء، فقال رسول الله : «**إن حقاً على الله أن لا يرفع**

---

1 () انظر: شرح النووي على صحيح مسلم 16/142.

2 () مسلم مع النووي 16/173، برقم 2620، ولفظه "فمن ينازعني عذبته".

شيئاً من الدنيا إلا وضعه»[1].

ورسول الله هو الأسوة الحسنة فقد كان متواضعاً في دعوته للناس.

المثالث الثاني: وصف أبي مسعود لتواضعه :

عن أبي مسعود قال: أتى النبي رجل فكلّمه فجعل ترعُد فرائصُه فقال له: «**هوِّن عليك نفسك فإني لستُ بمَلِكٍ، إنما أنا ابن أمرأة كانت تَأكلَ القديد**» وزاد الحاكم في روايته عن جرير بن عبد الله: «**... في هذه البطحاء**»، ثم تلى جرير [illegible][2].

فعلى جميع الناس أن يقتدوا برسول الله فقد كان متواضعاً في دعوته مع الناس، فكان يمر بالصبيان فيسلم عليهم، وتأخذه بيده الأمة فتنطلق به حيث شاءت، وكان في بيته في خدمة

---

1 () البخاري مع الفتح 11/340، برقم 6501 .

2 () ابن ماجه، برقم 3312، والحاكم 2/466، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، 3/128، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني 4/497، برقم 1876، سورة ق، الآية: 45.

أهله، ولم يكن ينتقم لنفسه قط، وكان يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحلب الشاة لأهله، ويعلف البعير، ويأكل مع الخادم، ويجالس المساكين، ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجتهما، ويبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه ولو إلى أيسرٍ شيء، فكان متواضعاً من غير ذلة، جواداً من غير سرف، رقيق القلب رحيماً بكل مسلم خافض الجناح للمؤمنين، لين الجانب لهم[1]، .

المثال الثالث: تفضيله للأنبياء على نفسه :

وقال له رجل: يا خير البرية! فقال النبي : **«ذاك إبراهيم عليه السلام»**[2]، وقال : **«ما ينبغي لأحدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونس بن متّى»**[3].

ولاشك أنه أفضل الأنبياء والمرسلين، وسيد الناس أجمعين؛ لقوله : **«أنا سيد الناس يوم**

---

1 () انظر: مدارج السالكين لابن القيم 2/328-329.

2 () مسلم، برقم 1369.

3 () البخاري، برقم 4630، ومسلم، 4/1846، برقم 2376.

القيامة»[1]، وقال : [2].

ومن تواضعه : أنه لم يكن له بوَّابٌ يحجبه عن الناس[3]، وكان يرقي المرضى ويدعو لهم، ويمسح رأس الصبي ويدعو له[4]، وكان يشفع لأصحابه، ويقول: **«اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء»**[5]، وقال لأنس : **«يا بُنَيَّ»** على سبيل الملاطفة والتواضع[6].

ومن تواضعه : أن رجلاً كان يَقمُّ المسجد أو امرأة سوداء، فماتت أو مات ليلاً، فدفنه الصحابة، ففقدها النبي أو فقده، فسأل عنها أو عنه، فقالوا: مات، قال: **«أفلا كنتم آذنتموني»** فكأنهم صغَّروا أمرها أو أمره، فقال: **«دلوني على قبرها»** فدلوه فصلى عليها ثم قال: **«إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن**

---

1 () البخاري، برقم 3340 و3361 و4712، ومسلم، برقم 194.
2 () أبو داود برقم 4763 وصححه الألباني، 3/138.
3 () البخاري، برقم 1283.
4 () البخاري، برقم 7210.
5 () البخاري، برقم 1432، ومسلم، برقم 2627.
6 () مسلم، برقم 2151، 2152.

الله عز وجل ينوِّرها لهم بصـلاتي عليهم»[1].

وقال أنس بن مالـك : (خـدمت رسـول الله عشر سنين فما قال لي أفٍّ قط، وما قال لشيء صنعته لم صنعته؟ ولا لشيء تركته لم تركتـه؟ وكـان رسـول اللـه من أحسن الناس خُلُقاً...)[2].

---

1 () مسلم، برقم 956.

2 () البخاري بنحوه برقم 6038، والترمذي بلفظه في الشمائل كما تقدم تخريجه.